﴿*وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾

[الفرقان: 21]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

أقوالُ أهل الكفر وأباطيلُهم تكشفُ عن تناقض مداركِهم وانعدامِ بصيرتهم

بعدَ أن ذَكر تعالى الابتلاءَ في الآية التي سبقت من قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [الفرقان: 20]، وبعد أن ذَكر ما كان من شأن الحَقّ ﷻ في أوّل السّورة من عظمتِه وإحسانِه إلى خلقه، وما كان من حَقّ كلٍّ مربوب أن يتعرّف إلى ربّه؛ لينال من إحسانه، ويتعزّزَ على أقرانه - أتبع ذلك في هذه الآية أنّه كشفَ الابتلاءُ عن أنّه لا بصرَ لهم[1].

ومن المناسبة: أنّه تعالى لمّا ذكر جملةً من أباطيلهم السّابقة مع بيان بطلانِها؛ شرع في حكاية بعضٍ آخرَ من أقاويلهم الباطلةِ، فهم قد كذّبوا بلقاء الآخرة بما فيه من رؤية الله والملائكة، ثمّ طلبوا رؤيةَ الله في الدّنيا، ونزولَ الملائكة عليهم في الدّنيا، وأرادوا تلقّيَ الدّين منَ الملائكة أو منَ الله مباشرة!! فكان في حكاية قولِهم وذِكر وصفِهم تعجيبٌ من تناقض مَداركِهم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَرۡجُونَ﴾: (رجا) أَصلٌ يَدُلُّ على الأَمَلِ، يُقالُ: رَجا حُصولَ الشَّيْءِ، يَرْجو، رَجاءً ورَجاوَةً، أيْ: أَمَّلَ وُقوعَهُ، وضِدُّه: اليَأْسُ والقُنوطُ[3]، وقيلَ: هو ظَنٌّ يَقْتضي حُصولَ ما فيهِ مَسَرَّةٌ، أو تَعَلّقُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 367.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 210، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 19.
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (رجا، رجو).

القَلْبِ بِحُصولِ مَحْبوبٍ مُسْتَقْبلًا[1]، ويأْتي الرَّجاءُ بِمعنى الطَّمَعِ في الشَّيءِ، فيُقالُ: رَجا الخَيْرَ، أي: طَمِعَ فيهِ، والتَّرَجّي، والارْتجاء، والتَّرْجيَة، كُلُّ ذلكَ بمعْنَى الرَّجاءِ[2]، ومِن مَعانيه أيضًا: التَّرقُّب، والظَّنُّ، والخَوْفُ[3]، والمرادُ بالرَّجاء في الآية: الخوفُ، أي: لا يخافون، كما جاء في قوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: 13][4].

2) ﴿لِقَآءَنَا﴾: (لقي) أَصلٌ يدُلُّ على تَوافي شَيْئَيْنِ[5]، اللِّقاءُ: مُقابلةُ الشَّيءِ ومصادفتُه معًا، وقد يُعبَّرُ به عن كلِّ واحدٍ منهما، يُقالُ: لَقيَهُ يَلْقاهُ لِقاءً ولُقيًّا ولُقْيَةً، ويُقال ذلك في الإدراك بالحسِّ، وبالبَصر، وبالبصيرة[6]، ولَقيتُهُ لَقْوَةً، أَيْ: مَرَّةً واحِدَةً، ولِقاءَةً، واللُّقْيَةُ فُعْلَةٌ مِنَ اللِّقاءِ، والجَمعُ لُقًى[7]، والالتِقاءُ: المُحاذاةُ[8]، والتَلَقّي: استقبالُ ما يُلْقَى[9]، وحقيقةُ اللِّقاءِ في الآية: مقابلةُ الشَّيءِ ومصادفتُه، والمُرادُ: لقاء جزائنا[10].

3) ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾: (عتو) أَصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على استكبارٍ[11]، العُتُوُّ: التَّجَبُّر والتَّكَبُّر، يُقالُ: عَتا يَعْتو عُتُوًّا وعِتيًّا، استكبرَ وجاوزَ الحَدَّ[12]، والعُتُوُّ أيضًا: النُّبوُّ عنِ الطّاعة[13]، والمُرادُ به في الآية: تجاوُزُ الحَدِّ في الاستكبارِ والعِنادِ والظُّلْمِ.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

الآيةُ الكريمة هي الشُّبهة الرّابعة لمنكري نُبوَّة محمَّدٍ ﷺ، ومعناها: أنّ الَّذين ينكرون لقاءَ اللّه ﷻ يوم الجزاءِ قالوا: هلّا أنزَل اللّهُ علينا الملائِكةَ، أو نرى اللّهَ بأعيُنِنا فنُؤمِنَ؟ لقد تكبَّرَ هؤلاء الكُفّار الذين تجرَّؤوا على اقتراحِ نُزولِ الملائِكةِ

(1) الرّاغب، المفردات: (رجا)، والمناوي، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 174.
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رجو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رجى)، والزّبيديّ، تاج العروس: (رجو).
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 3/ 19.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(6) الرّاغب، المفردات: (لقي).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لقي).
(8) الزّبيديّ، تاج العروس: (لقي).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (لقي).
(10) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 3/ 19.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عتو).
(12) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (عتا).
(13) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (عتو).

عليهم، أو رُؤيةِ اللّهِ في الدُّنيا، وتعظَّموا في أنفُسِهم، وتجاوَزوا الحَدَّ في الكِبْرِ والظُّلمِ والطُّغيانِ، باقتراحِهم ذلك، فأيّ عُتوٍّ أكبرُ من هذا العُتوّ؟ ولذلك بَطَلت أعمالُهم واضمحلّت، وخسروا أَشَدّ الخُسران، وحُرِموا غايةَ الحِرمان[1].

موقفٌ عجيبٌ من مواقف تعنُّتِ الكفّار في كُفرهم وعِنادهم

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها:

عُطِفَ بالواو قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ على قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان: 7] وما بعده[2] من أباطيلهم الأُخرى السّابقة، ويجوز أن يكون قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ معطوفًا على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ [الفرقان: 4][3] عطْفَ النّتيجةِ على السّبب؛ فإنّ اتّهامَهم للرّسول الكريم ﷺ بالكذب وافتراءِ القرآن الكريم، سببٌ في إنكارهم لقاءَ اللّه تعالى.

الأباطيلُ مهما اختلفت فهي واحدةٌ في البُطلان

الغرضُ منَ التّعبير بالمسنَد إليه اسمَ موصول:

كان القياسُ التّعبيرَ بالضّمير في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾، وذلك بأن يقول: (وقولهم لولا أُنزِل علينا الملائكة)، فجاء بالموصول عوضًا منه؛ تنبيهًا على ما في حيّز الصّلة، فإنّ ما حكاه عنهم من شنيع مُرتَكبِهم بحيثُ لا يَصْدر عمّن كان معتقدُه أنّ المصير إليه سبحانه[4]، كما أنّ التّعبير بالموصول وصلتِه يُبيّن أنّهم معروفون بمضمون الصّلة، مشتهِرون بها اشتهارَ لَمزٍ وتنقيص؛ وأنّ استمرارَهم على العِناد مرتبطٌ ارتباطًا كبيرًا بهذه الصّلة.

ما يُحكى عنهم من شناعتهم لا يصدرُ عمَّن يعتقد المصيرَ إلى الله

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 426، والسّمعانيّ، تفسير القرآن: 4/ 14، والشّنقيطيّ، أضواء البيان: 6/ 37.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 210، والآلوسيّ، روح المعاني: 3/ 10.

(3) المظهريّ، التّفسير المظهريّ: 7/ 19.

(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 210.

بلاغةُ التّعبير بجملة الصلة: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾:

الإيماءُ إلى عِلّة الحُكم؛ فانتفاءُ رجائِهم سببٌ في استكبارهم وعُتوّهم

التّعبيرُ بنفي رجاءِ لقاء الحَقّ سبحانه بقوله: ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾؛ دالٌّ على الاستعلاء المَقيت، والغُرور المُهلك، وهو وارد في سياق ذَمّهم؛ للإشعار بعِلّيَّة الحُكم؛ فانتفاءُ رجائِهم سببٌ في ما طلبوا من إنزال الملائكة، أو رؤيةِ الحَقّ سبحانه، ممّا أكسبهم صفةَ الاستكبار والعُتوّ؛ فأوصلَهم إلى غضب الله تعالى ومَقْته؛ لأنّهم تجاسَروا على عظمة الله وجلالِه، كما أنّ ذِكْر انتفاءِ رجائِهم تعجيبٌ من تنافي استيعابهم، وتناقضِ مَداركهم[1].

دلالةُ التّعبير بـ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ من حيثُ مادّتُها وصيغتُها:

يَعُدّونَ لقاءَ الله مُحالًا على وجه التّجدّد والاستمرار

التّعبيرُ بصيغة المضارع المنفي للدّلالة على تجدّد عدم الرّجاء منهم واستمرارِه، كما أنّ التّعبير بنفي رجائهم لقاءَ الحَقّ ﷻ أبلغُ من قوله: (الذين يعتقدون عدمَ لقائنا)؛ لأنّ القول الأوّل يحتمل تكذيبًا باللّقاء وشكًّا فيه، فعَدَمُ الرّجاءِ يَفوقُ الجميعَ في أَبْلَغيَّته، فإنّه لا مطمعَ فيه بوجه[2]، فهذا التّعبير أبلغُ وأشَدُّ وقعًا؛ لأنّه ينفي أدنى شعورٍ بالأمل لديهم.

دلالةُ التّعبير بالكناية في ﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾:

لا يخافون العذابَ ولا يؤمنونَ بالبعث ولا الحساب

ليس المرادُ من لقائِه سبحانَه الرّؤيةَ والاتّصالَ والمماسّةَ، أوِ الوصولَ إلى الشّيء، بلِ المرادُ منَ اللّقاء في هذا الموضع المصيرُ إلى حُكم المَلك الجَبّار حيثُ لا حُكْم عندئذٍ إلّا حُكْمُه، يومَ لا تملك نفسٌ لنفس شيئًا[3]، فالتّعبيرُ كنايةٌ عن إنكار البعثِ والحشر[4]، بل هو أَشَدُّ دلالةً عليه، وأبلغُ تعبيرًا عنه؛ فمَن يُنكر لقاءَ الله تعالى، فكأنّه يُنكر وجودَه، وينكرُ عقابَ الله تعالى وجزاءَه، وهو أخطرُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 19.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 232.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 448.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 4/ 10.

مِن مُجَرّد إنكارِ البعث والحشر؛ لانطوائه على إنكار العقيدةِ الإسلاميّة بأكملها.

معنى ﴿لَوۡلَآ﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾:

المُكَذِّبُ حريصٌ على تعجيز الصّادق

تأخذ ﴿لَوۡلَآ﴾ حُكمَ (إنْ) الشّرطيّة[1]، وفي تحضيضهم على إنزالَ الملائكة، أو رؤيتِه ﷺ، معنى الشّرط؛ فكلامُهم على معنى: أنّه ليُثْبِتْ لنا صِدْقَه، بأن يَطْلُبَ من ربّه أن يُؤيّده بوسيلة أُخرى؛ لإبلاغ هذا الدّين إلينا؛ فإن كان صادقًا فلْيفعلْ ذلك[2]، واستُعمِل ﴿لَوۡلَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾، وهو حرف دالّ على التّحضيض في كلام العرب[3]، وهو مُستعمَلٌ هنا لمعنى التّعجيز والتّعذّر والاستحالة، أي: هلّا جاء إلينا بالملائكة كي نُؤمنَ بذلك؟![4].

دلالةُ التّعبير بما لم يُسَمّ فاعلُه ﴿أُنزِلَ﴾:

دعاهم استكبارُهم وعُتوُّهم إلى أن لا يسمحوا بإسناد ذلك الإنزالِ إلى الحَقّ سبحانه، فورد بصيغة المبنيّ للمفعول ﴿أُنزِلَ﴾.

إيثارُ الفعل ﴿أُنزِلَ﴾ بالهمزة لا (نُزّل) بالتّضعيف:

مُـــرادُ أهـــلِ الكفر لجهلِهم وحماقتِهم أن يَـنـزلَ عليهم الـقـرآنُ دُفعةً واحدة

أوثرَ الفعلُ ﴿أُنزِلَ﴾ المَبدوءُ بالهمزة في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ على الفعل (نُزّل) المُضعّف؛ لدلالة الثّاني على الإنزال تدريجًا وتفريقًا، ودلالةِ الأوّل على الإنزال جملةً واحدةً، وفي ذلك إيماءٌ إلى شِدّة جَهْلهم، وانغلاقِ أفهامِهم بأنْ كان مرادُهم أن يَرَوا المُنَزّل عليهم منَ الملائكة، أوِ الحقَّ سبحانه كلَّه دُفعةً واحدة[5].

فائدةُ تعْديةِ الإنزال بـ(على):

استُعمِل الفعلُ ﴿أُنزِلَ﴾ متعدّيا بـ(على) في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ

(1) ابن يعيش، شرح المفصل: 1/ 416.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 19.
(3) الزّجاجيّ، حروف المعاني والصّفات، ص: 4.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 19.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 368، وابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 97.

عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لأنّهم أرادوا أن تكون لهم رتبةُ الرّسولِ ﷺ فيُنزّلَ عليهم الوحيُ مباشرةً من دون أن يكون الرّسولُ وسيطًا ومُبلِّغًا بينَهم وبين الحَقّ سبحانه، وعادةُ الوحي أن يُنَزّل على الرّسول، ثمّ يصلَ إليهم، وهذا كان عينَ اعتراضِهم الدّالِّ على استكبارهم وتَعنُّتِهم.

طلبوا رتبةَ النّبيِّ وأن يُنَزّل الوحيُ عليهم مباشرةً من غير وسيط

الغرضُ من تقديم شِبه الجملة ﴿عَلَيۡنَا﴾:

قُدِّم شِبهُ الجملة ﴿عَلَيۡنَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾؛ لإفادة الحصر والتّخصيص، والمعنى: أنّهم أولى بالرّسالة من غيرهم بنزول الوحي والمَلَكِ، وأنّها يجب أن تكون مختصّةً بهم؛ لأنّهم الرّؤساءُ والزّعماء والقادة[1].

اعتقادُ أهل الكفر أنّهم الأَوْلَى بالوحي لأنّهم الرّؤساءُ والزّعماء والقادة

معنى (أل) في ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾:

أورد لفظُ الملائكةِ بـ (أل) في قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾، للإشارة إلى أنّ مطلبَهم "رؤيةُ جميعِ الملائكة الآخذين عنِ اللّه"[2] ﷻ؛ فالألف واللّام جنسيّةٌ دالّةٌ على الاستغراق، أي: جميع الملائكة، وذلك مِن عُتوِّهم وجَهْلِهم وعِنادِهم، فكأنّهم يقولون: إنّهم لا يؤمنون بالرّسول مهما كان عددُ الملائكة النّازلين معه.

مطلبُهم هو رؤيةُ جميعِ الملائكة الآخِذين عنه تعالى

معنى ﴿أَوۡ﴾، ودلالةُ التّعبير بالرّؤية في ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾:

منَ المعاني المشتهرة لـ ﴿أَوۡ﴾ في كلام العرب التّخييرُ[3]، وعلى هذا المعنى ورد قولُ الحَقّ سبحانه: ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾، تخييرًا بين نزول الملائكة، ورؤيةِ اللّه تعالى ليخبرَهم بصِدق الرّسول[4]، وفي طلب رؤية اللّه في قوله تعالى: ﴿أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ بعد معاينة الدّليل عتوٌّ وخروجٌ عن مقتضى الإيمان، فالإيمانُ بالغيب لا يثبتُ بالرّؤية، بل

طلبُ الرّؤيةِ بعد معاينة الدّليل عتوٌّ وخروجٌ عنِ الإيمان

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 8/ 18.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 369.
(3) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 228.
(4) الهلاليّ، تفسير القرآن النّريّ: 1/ 19.

بالدّليل القاطعِ، فلو كانت رؤيةُ اللّه جائزةً لَما وبّخهم على سؤالهم لها، ولكنّهم بعد أن عاينوا الدّليل على وجوده طلبوا دليلًا آخر، وهو رؤيةُ اللّه تعالى، ممّا يدلّ على عُتوّهم وظلمهم، فالإيمان عند المعاينة لا يُعدّ إيمانًا بالغيب، بل هو يقينٌ ومعرفة[1].

دلالةُ التّعبير بفعل الرّؤيةِ مضارعًا:

لم يكتفوا بطلب رؤيتِه تعالى وإخبارِه بصدق رسوله، حتّى يَروهُ ويخبرَهم بذلك مرارًا

أورِدَ فعلُ الرّؤية مضارعًا في قوله تعالى: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾؛ لدلالته على الاستمرار التّجدّدي؛ فإنّهم لجُرأتهم وتحدّيهم لم يكتفوا برؤيته سبحانه وإخبارِهم بصدق رسوله ﷺ، حتّى يروْهُ، ويخبرَهم مرارًا عن ذلك[2].

سِرُّ إضافةِ الرّبوبيّةِ إلى الضّمير في ﴿رَبَّنَا﴾:

تعاظُمُ أهلِ الكُفر بما وهبهمُ اللهُ من نِعَمٍ، وبما لهم من قوّةٍ وأموالٍ وأولادٍ

أتى النّظمُ الجليل بلفظ الرّبوبيّة مضافًا إلى ضميرهم المجموعِ في قوله تعالى: ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾، أي: بما فضَّلَنا على سوانا، وأحسنَ إلينا، وبما لنا نحن منَ التّعظيم بموجب قوّتِنا وأموالِنا وأولادنا، فيأمرُنا من غير وسيط[3].

نُكْتَةُ فصلِ قوله: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا﴾:

ما أعجبَ زهوَهم وغُرورَهم الباطلَ

فُصِلَ قولُه تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عمّا قبله؛ لأنّ الجملة استئنافٌ بيانيّ يتنزّلُ منزلَة الجواب، عن قولهم الدّالِّ على معنى التّعجيب من غرورهم الباطل، وزهوهمُ الزّائفِ؛ فإنّ القَسَم يُستعمَل في معنى التّعجيب[4]، فالجملة جوابٌ عن سؤال سائل: فماذا كان حالُهم بعد إذ؟.

الغرضُ منَ التّعبير بالقَسَم، ودلالةُ توكيدِه بـ (قد):

تأكيدُ قُبحِ صفات أهل الكفر، وما هم عليهم من عتوٍّ واستكبار

اللّام في قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا﴾ هي الموطّئةُ للقَسَم[5]،

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 20/ 15.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 4/ 10.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 368.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 5، 6.
(5) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 310.

وهي إحدى اللّاماتِ الكثيرةِ الدّخولِ على (قد)؛ الدّالّةِ على التّوقّع والتّوكيد في لسان العرب، وقد يكون قَسَمُها منويًّا كالآية، والمعنى: (وعزّتِنا[1] حصلَ استكبارُهم على وجه التّحقيق)، وقد صَدَّر الجملةَ بالحرف المُؤذِن بالتّوكيد بقوله: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ لتأكيد استكبارِهم عنِ الحَقّ، وبُعْدِهم فيه[2]، وقد ختموا أكاذيبَهم وافتراءاتِهم بقَسَم جازمٍ في قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ لتأكيد ما هم عليهم من عُتوّ واستكبارٍ؛ فقد تجاوزوا الحدودَ، وبلغوا منَ الكفر والضّلال أقصى غاياته، حتّى اجترؤوا على التَّفَوُّه بمثل هذه العبارة الشّنعاء[3]، التي تُدلّ على عمق ضلالِهم، وقسوةِ قلوبهم، وغِلَظِ طباعِهم.

فائدةُ دخولِ السّين والتّاء على فعل الاستكبار:

السّين والتّاء في قول الحقّ ﷻ: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾، فيها دلالةٌ على التّزيّد والمبالغة في استكبارهم في أنفسهم[4]، وتجاوزِهم الحَدَّ في صفة التّكبّر والعُتوّ.

المبالغةُ في التّكبُّر وتجاوزُ الحَدّ فيه

معنى ﴿فِيٓ﴾ ودلالتُها في قوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾:

حرف الجرّ ﴿فِيٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يدلُّ على الظّرفيّة الحقيقيّة؛ فإنّه لَمّا لم يكن لاستكبارهم ثمرةٌ وحصيلة في ظاهرهم؛ لأنّه لا يعود بالضّرر على أحد سواهم، أدخل حرفَ الظّرفية ﴿فِيٓ﴾ على ﴿أَنفُسِهِمۡ﴾[5]، ويجوز أن يكون حرفُ الجَرّ ﴿فِيٓ﴾ دالًّا على التّعليل والسّببيّة، وهو من معانيها في لسان العرب[6]، ومنه الحديثُ الواردُ عنه ﷺ: «دَخَلَتِ امرَأَةُ النّارَ في هِرَّةٍ رَبَطَتْها،

لَمّا لم يكن لكِبَرهم ثمرةٌ في الظّاهر، جعلَ الأنفسَ ظرفًا له

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 368.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 368، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5266.
(3) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 7/ 1500.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/ 19.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 368.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/ 19.

فلَم تُطْعِمها، ولَم تَدَعْها تَأْكُلُ مِنْ خَشاشِ الأَرْضِ»[1]، والمعنى: أنّ استكبارَهم كان لأجل عَظَمةِ أنفسهم بحسب زعمهم[2]، وقد تكون ﴿فِيٓ﴾ هنا دالّةً على الظّرفيّة المجازيّة، في أنّه شَبّه أنفسَهم بالظّرف في تمكّن المظروف منه، فهو استكبار متمكّنٌ منهم[3].

معنى الواو ودلالتُها في ﴿وَعَتَوۡ﴾:

التّدرّجُ في صفاتهم من خَفيّ الاستكبار إلى وضوح العُتوّ في أفعالهم وأقوالهم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَعَتَوۡ﴾ دالّةٌ على العطف، وذلك بأنّها عطفت جملةَ العُتوّ على جملة الاستكبار[4]، وفي هذا العطف إيماءٌ إلى التّدرّج في بيان صفاتهم، فذَكر الاستكبارَ وهي صفة خفيَّةٌ، وآيةُ ذلك استعمالُ حرفِ الظّرفيّة، ثمّ عطفَ عليها العُتوَّ، وهو التّمرّد والخروجُ عن طاعته تعالى، وهي صفة ظاهرةٌ لأفعالهم وأقوالهم.

دلالةُ التّعبيرِ بالعُتوّ مادّةً وصيغةً:

تجاوز الظالمون مِقدارَ ما خوَّلهمُ الله من القابليّة، فتكبَّروا وعَتَوا ظُلمًا وجَورًا

عبّر بالعُتوّ في قوله تعالى: ﴿وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا﴾؛ لدلالة العُتوّ على تجاوز الحدّ في التَّكَبُّر ظلمًا وجَورًا؛ لأنّهم تجاوزوا ما خوّلهم الحقّ ﷻ من القابلية والاستعداد، وفي ذلك إيماءٌ إلى أنّ النّبوّة إعدادٌ من الباري سبحانه، ولا تكون بالاكتساب؛ فإنّ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: 124][5]، والتّعبير بصيغة الماضي إيذانٌ بثباتهم على صفتهم القبيحةِ تلك، وأنّهم عريقون فيها.

الغرضُ من توكيد العُتوّ بالمفعول المُطْلَق ووصْفِه بالكبر:

جاوزوا الحدَّ في الاستكبار بطلبِهم رؤيةَ جميع الملائكة ورؤيةَ المَلِكِ الجبّار

أكّد الحقُّ ﷻ عُتوَّ هؤلاء القوم وتماديَهم في ظلمهم، بذِكر المصدر ﴿عُتُوّٗا﴾ مقترنًا بالنّعت ﴿كَبِيرٗا﴾؛ مبالغةً في التّعبير؛ ليُبيّن

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (3140).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 368.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/ 19.
(4) الدّعّاس، إعراب القرآن الكريم: 2/ 369.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/ 19.

شِدّة عتوّهم وفظاعةَ ذنبِهم؛ فإنّهم لم يكتفوا بعُتوٍّ بعضِهم على بعض، بل تجاوزوا ذلك إلى عتوّهم على رسول الله ﷺ، بل وعلى الله تعالى ذاتِه، ممّا يدلُّ على عُمق ضلالِهم، وخِسّة طَبعِهم[1]، ولم يكتفِ بأنْ أكّد العُتوَّ بالمصدر المنصوب في قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا﴾، بل زاد على ذلك أنْ وصفَه بالكبر بقوله: ﴿كَبِيرًا﴾ مبالغةً في إفراطه؛ لأنّهم بلغوا الغايةَ في الغطرسة والاستكبار، والمنتهى في العُتوّ والطّغيان[2].

الغرضُ من تنكير ﴿عُتُوًّا﴾:

استُعمل لفظُ (العُتوّ) نكرةً في قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾؛ لدلالةِ النَّكرة على العموم والشّمول، فمعنى العُتوّ يأتي على أوجه عدّةٍ، منها: التّجبّرُ والتّكبّر، ومنها: التّمرّدُ والعصيان، ومنها: الإسرافُ في الظّلم، ومنها: الغُلوُّ في القول، ومنها: شِدّةُ الكفر[3].

العُتوّ دالٌّ على التّجبُّر والعصيانِ والظّلم والغُلوّ وشِدّة الكفر

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العتوُّ والظّلم والطّغيان والبَغي:

عُبّر بالعُتوّ في قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾، وهو بمعنى التّكبُّر والتّجبُّر والعصيان، وهو أعلى رُتَبِ الطُّغيان والظُّلم[4]، وهو المبالغةُ في الكبر أوِ الفساد، مُؤْثرًا إيّاه على الظّلم؛ لأنّ الظّلم معنًى عامٌّ، وهو وضع الشّيء في غير موضعه[5]؛ فتتعدّد معانيها بحسب السّياق الواردِ فيه، أمّا الطّغيان في اللّغة فهو مجاوزة الحَدِّ في كلّ شيء[6]،

العُتوُّ دالٌّ على التّجبّر والاستعلاء والإصرار على المعصية والتّمرّد على الحقّ

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 17/ 10412.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 273.
(3) الماورديّ، النّكت والعيون: 4/ 140.
(4) محمد الهلاليّ، تفسير القرآن الثّريّ: 1/ 19.
(5) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 28.
(6) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النّواظر، ص: 410.

أمّا البغيُ فإنّ الأصل فيه أن يكون جنسًا منَ الفساد[1]، ولَمّا كان العُتوّ دالًّا على التّجبُّر والاستعلاء والإصرار على المعصيةِ والتّمرّدِ على الحقّ، وهو "أشدُّ الكفر، وأفحشُ الظّلم، وعُتوُّهم طلبُهم رؤيةَ اللّه حتّى يؤمنوا به"[2]، كان خليقًا بموضعه من هذه الآية، من دون المفرداتِ الأُخرى.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغى).
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 14/ 507.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»